

كلا، لا تسلية عن «النظارة» المضبوطة بنظارة أنفُس منها وأقدر على التقريب والتوضيح.

ولا تسلية عن الابن الضائع بابنٍ من صُلب غيرك ولا من صُلبك، ولو كان أبرّ الأبناء الذين ولد الآباء، ولا تسلية عن المرأة المعشوقة بامرأةٍ تفوقها ملاحَةً وتبرعها ذكاءً، وتبذها عندك وعند غيرك في بعض الخصال ولا في جميع الخصال.

وفي الحب كثير من بقايا الطفولة وراث الغريزة، فلا بد للقلب من فترةٍ طويلةٍ يعاف فيها كل هوى غير هواه، كما يعاف الطفل كل شيءٍ غير ثديه، أو يعاف الطير كل أليفٍ غير أليفه، أو يعاف الحيوان كل سكنٍ غير سكنه بين أمه وأبيه.

في هذه الفترة عاد «أمين» إلى القاهرة في إجازةٍ طويلةٍ، ورأى من الأمسية الأولى التي قضاها مع همام أين تقف الأمور كما يقول، بغير حاجةٍ إلى إفاضة شرح وإطالة سؤال. الحقيقة غير معروفة، والسلوى غير ميسورة، والوقت ثقيل كسيح لا يخف ولا يتحرك! وكل وسيلة يقطعانه بها لا تلبث أن تمسه قليلاً حتى تنتلم وتكل وترتد عن صفحته الكثيفة وجلده الصفيق؛ فالقراءة لا تنفع واللعب لا يمنع الذهن أن يشرد ويتيه، والسماع لا يُطاق، والرياضة مطلوبة مستحبة على أن تكون في غير الأماكن التي كان يطرقها همام وسارة، وهل من مكانٍ لم يطرقاه؟

وكثر التحدث عن الجنون والمجانين وبوادر الهوى التي تصيب العقلاء من حيث لا يعلمون ولا يعلم أصحابهم المقربون، فكان همام يقول: ما أحسب إلا أنني سأكون بين الناس في بعض الأيام فأخلط بالحديث عن سارة وظنون سارة، ثم يسأل أُميئاً: ترى كيف تقع هذه المفاجأة في فلانٍ وفلان؟ وكيف يكون هذا الخلط لو كان؟

ثم يأخذان في التمثيل والمحاكاة كأنهما يتلهيان ويتفكهان، وإنهما لفي مرارةٍ سقيمةٍ تفسد جميع الطعوم!

هذا أو يعمد أمين إلى فنونٍ من الألاعيب الصبائية ينفي بها الملل ويموه بها الكآبة، فيدق التليفون ويجيبه الرجل المقصود أو غير المقصود، فيجري بينهما حديثٌ كهذا الحديث: هل أنت فلان؟

- نعم، أنا هو.

- أواثق أنت مما تقول؟

- عجباً، ما معنى هذا السؤال؟